• تقديم

ما من شخص أعمل فكره في الشئون المجتمعية، وخصوصًا في موضوعي التاريخ والسياسة،إلا ونجده قد اكتشف ذاك الدور العظيم الذي لعبه العنف على مختلف أشكاله في شئون الحياة البشرية!

فالعنف السياسي من الظواهر العالمية التي عرفتها المجتمعات البشرية في مجموعها، ولكن بدرجات متفاوتة وبأشكال متعددة. على أن أوجه الاختلاف بين المجتمعات تكمن في أسباب العنف وإيجاد آليات ومؤسسات فعالة للتعامل مع هذه الظاهرة، الأمر الذي ينتج عنه تقليل حجم هذه الظاهرة والحد من مخاطرها. هذا الأمر يدعونا إلى القول بأن ظاهرة العنف السياسي ليست بذاك سمة ملازمة لمجتمع معين دون سواه.. فمن خلال استقرائنا للأحداث والوقائع التاريخية نجد أنه قد حدثت مجموعة من هذه الوقائع والأحداث الثورية التي صاحبها استخدامٌ غير نمطي للعنف، وفي حقيقة الأمر فإن هذه الوقائع عُدَّت هامة وأثرت بطريقة أو بأخرى في شكل وتركيب المجتمعات الحديثة.

من هذه الوقائع التاريخية: الثورة الإنجليزية (1688ف)، والثورة الأمريكية (1761ف)، والثورة الفرنسية (1787ف)، والثورة الروسية (1917ف)، والثورة الصينية (1911ف)، والثورة الليبية (1969ف). هذه الوقائع الثورية أعطت بعدًا نوعيًّا ووصفًا اعتُبِر نموذج لمعنى وطبيعة الثورة في العصر الحديث، إلى جانب أن هذه التجارب زودت الفكر الاجتماعي السياسي ببعض الافتراضات الهامة في التحليل السوسيولوجي لطبيعة المجتمعات وتغيرها، وأسهمت بقدر كبير في

إيضاح الملامح العامة والظروف الموضوعية التي ينتج عنها استخدام العنف بكافة أنواعه، والعنف السياسي على وجه الخصوص، على اعتبار أن هذا النوع من العنف يقوم به الأفراد والجماعات الاجتماعية والتنظيمات الرسمية وفق أدوات ووسائل معروفة ومنظمة، إلى جانب اعتباره موجهًا لتحقيق مكاسب سياسية بالدرجة الأولى.

إن علم الاجتماع العام، وعلم الاجتماع السياسي على وجه الخصوص عند دراسته للظواهر الاجتماعية، يحاول أن ينبه إلى الظروف الموضوعية التي تتسبب في حدوث ظاهرةٍ ما، ولتكن الثورة.. فهو عندما يحذر منها يدعو إلى إيجاد الحلول الناجعة لتلك الظروف الموضوعية التي تدعو إلى الثورة، حيث أن القضايا هنا ذات ترتيب منطقي يعتمد فيها اللاحق على السابق.. فلا ضرورة للثورة إذًا طالما أن الظروف الموضوعية التي تدعو لحدوثها غير موجودة. وهذا لايجعلنا نغفل أن علم الاجتماع يعتبر الثورة أداةً من الأدوات الهامة في إحداث التغير الاجتماعي، إلا أنه - وفي نفس الوقت - يعي تمامًا من خلال رصد ودراسة الظواهر الاجتماعية على مختلف أنواعها حقيقةَ أن الثورة في غالب الأحيان تأتي مقترنة بالعنف، وهو بذلك يعي جيدًا ما هي سلبيات هذا الاقتران.

هذا لا يعني، وفي جميع الأحوال، أن العنف أداةٌ من أدوات الثورة فقط، بل نجد أن الثورة قد تقوم كنتاج مباشر لممارسة العنف.. فالعنف الذي تمارسه الدولة أو النظام السياسي في أي المجتمعات ضد الأفراد والجماعات الاجتماعية - على اختلافها - والتنظيمات السياسية والخصوم السياسيين، كل ذلك يعد من الأسباب الدافعة للثورة وقيامها على تلك الدولة أو ذلك النظام.

وفي المجتمعات الحديثة نجد أن العنف يمارَس من قِبَل الأفراد والجماعات المتطرفة لإيجاد مكان لها داخل بناء القوة بغية تحقيق مكاسب خاصة، الأمر الذي ينتج عنه تذمر واستياء من قِبَل القاعدة العريضة للمجتمع، حتى يقودها إلى استعمال العنف المضاد الذي قد يتخذ شكل ثورة لتصفية أولئك الخصوم الذين يسعون إلى تحقيق مصالح خاصة على حساب مصلحة المجتمع.

ونظرًا لما لموضوعيْ العنف السياسي والثورة من أهمية فرضها ما يرتبط بها من تغيرات في الأنساق والأبنية الاجتماعية للمجتمعات، وما توجده من تنظيمات جديدة بداخلها.. لأجل ذلك - ولأسباب أخرى متعددة، منها ماهو عام يتعلق بالمناقشة والتحليل للظواهر الاجتماعية المختلفة، ومنها ما هو متعلق بالاهتمامات الشخصية، حيث أردت أن يكون هذا الكتاب جزءًا ثانيًا لكتابنا الأول «علم الاجتماع السياسي العام» - قد قمت بتقسيم هذا الكتاب إلى فصلين : **الفصل الأول** يتناول بالدراسة والتحليل استعمالات العنف المادي، إلى جانب مناقشة تلك التحديات الخاصة باستعمال العنف والقوة لتحقيق مكاسب وأغراض سياسية. كذلك سأحاول فيه تسليط الضوء على الطرق المختلفة التي تنتج عن الفعل السياسي العالمي، والذي تتسبب عنه في غالب الأحيان ممارسة للعنف على معظم الناس.. فالذين يعيشون في المجتمعات القائمة على أنظمة الحكم التقليدية يجادلون بأن المجتمع السياسي الموجود ليست لديه أي سلطة على أفعالهم، الأمر الذي جعلهم غير مرتبطين به معنويـًا بما يسمح لهم بالانخراط في أعمال العنف.

هذا، وسنأتي على مبررات العنف السياسي كما يراها هؤلاء، والتي من أهمها إخفاق النظام السياسي في أدائه لالتزاماته نحوهم.

ويجدر بالذكر أن العنف قد برز كعامل فعال في الشئون الداخلية للمجتمعات، ولاسيما فيما يتعلق بقضية الثورة!

أما في **الفصل الثاني** فسآتي على موضوع الثورة كإحدى وسائل العنف السياسي أو نتائجه، وذلك نظرًا لما لأمرها من أهمية بالغة لكونها من الأدوات الأساسية في إحداث التغيرات المختلفة، الأمر الذي أكسبها أهمية خاصة في تناول علم الاجتماع السياسي لها بالدراسة والتحليل. ولهذا فتحليلاتنا في هذا الفصل ستنصب على الاهتمام بدراسة الثورة من خلال التعرف على طبيعتها ونظريتها، والعلاقة بينها وبين النظم الاجتماعية الموجودة، من أجل الوصول إلى توضيحٍ كافٍ للدور الذي تقوم به الثورة لإحداث التغير الاجتماعي والتحولات الهامة في المجتمعات، وذلك عبر منظور شامل يشمل التعريف والأسباب

والأشكال والمراحل والنتائج، إلى جانب عرض مختصر لبعض النماذج التقليدية والحديثة للثورة.

هذا، وقد وجدت أنه من المفيد أن أقوم بثبت لبعض المفاهيم والمصطلحات التي وردت في هذا الكتاب.

وفي الختام آمل أن يكون هذا العمل قد أسهم في إثراء المكتبة الجامعية بما يخدم العلم وطلابه.

والله ولي التوفيق

د. شعبان الطاهر الأسود

obeikandl.com